

وليست كل صفاته ، وهي في النمر والذئب والذئب وغيرها في الأسد ، وتختلف في الثور الوحشي الذي قد يهزم الأسد نفسه ، ولكنها في ملك الحيوان مقرونة بالمهابة والجلال والكبرياء والصبر . وإذن فإن المجاز كما يدل على حرية الفنان المبدع في النظر إلى الأشياء وتصورها ، بحيث يبرزها في علاقاتها معبرة عن وعيه الخاص ، وعيه اللاشعوري بتجربته الفردية وتجربة النوع الإنساني في علاقته بالأشياء وتحديه للأشياء ورغبته في تطويعها لقدرته ، فإن المجاز يعطى المثلثي - القارئ أو السامع وهو جزء لا يتجزأ من إقرار المجاز - حرية وحركة لا تمنحه الكلمات المجردة ما يوازئها ، ويكفي أن نستعيد مجددا حجج القاضي الجرجاني دفاعا عن الشمس السوداء . ونحن لا نقر هذه الحجج ، ونأسي للمنحى الذي سار فيه الناقد ، ولم يكن باستطاعته أن يفعل ما هو أكثر ، والذي يعيننا الآن أن « الشمس » المجازية غير « الشمس » الجرم المعروف ، إنها مجازا يمكن أن تكون البهاء والنصوع والانتشار والارتفاع والانتفاع ! ولكنها على الحقيقة ليست غير الشمس ، وإذا كان من حق الشاعر المبدع أن يضعها في الإطار أو العلاقة التي يشاء فإن من حق المثلثي أن يقبل هذا الإطار أو أن يرفضه ، وقد حدث هذا بالنسبة لشمس المتنبي السوداء . . من حقه أن يهتم بالمستعار أو المستعار له ، أو بهما على قدر من المساواة ، أو بالعلاقة ، أو بالقرينة ، أو بهذا كله . وهذه الحرية المتاحة في التلقى جزء أساسي من اللذة الفنية . إن تحريك واستدعاء وتفاعل الصور والأفكار والتجارب في لا شعور المثلثي وإثارتها من خلال عناق أو صدام الصور المبدعة فنياً يولد إحساسا خاصاً بالمشاركة حتى من خلال التضاد .

لقد أراد المتنبي شمسا حقيقية ، شمسا خاصة به ، شمسا سوداء لا تنطوي على صفة تجريدية من صفات الشمس البيضاء أو الحمراء . لقد اقتبس شارح الديوان عبارة للواحدى تقول : إنه في سواده مشرق ، فهو بإشراقه في سواده يفضح الشمس .^(٢١) والواحدى بهذا يقترب من حافة الاعتراف بخصوصية التعبير الشعري ، وحرية المجاز ، وحقه في تفجير المعنى من الأضداد ، ومشروعية الإغراب والمفاجأة ومشاركتها في توليد المتعة وتحرير الخيال استمرارا لتحرير المعجم ، ورفض عبودية العلاقة بين الألفاظ . وبعد المتنبي بأربعة عشر قرنا ، في « ثلاثية » شباك وافية^(٢٢) ، استعمل السياب كل الألوان الصريحة

(٢١) شرح ديوان المتنبي ج ١ ص ١٥٨ .

(٢٢) انظر القصائد الثلاث في ديوانه الثاني : المعبد الغريق ص ١١٧ .